وضعف فمات به ودونه من اتصف بها وظعن ولم يمت وقريب منه من اتصف بها ثم مات بغير
الطاعون ودون الجميع من اتصف بها فلم يظعن ولم يمت ويحتمل التعدد اذ تفاوتت اسباب
الشهادة كما لو مات عزبا بالطاعون مع الصبر والاحتساب وكما لو طعنت النفساء نفسها
ومات فيه ويمكن ان يقال درجة الشهادة شيء ودرجة اجرها شيء قد درجة الشهادة تختص بمن
اتصف بالصفات وطعن ومات به **الفصل العاشر** في جواب ما يقال اذا كان الطاعون
شهادة ورحمة فكيف قرن بالدجال ومدحت المدينة بانه لا يدخلها في خبر الشيخين على ابواب
المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال وكيف كان عقوبة لمن كذب الذنوب في خبر
البيهقي لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها الا فشا فيهم الطاعون والاوجاع التي لم
تكن مضت في اسلافهم وجواب الاول ان الطاعون ليس نفس الشهادة والرحمة
بل منشأهما كما مر ومدح المدينة انما هو من حيث ان كفار لحمن وشياطينهم ممنوعون من
دخولها ومن اتفق دخوله اليها منهم لا يتمكن من الطعن حماية من الله لاهلها واهلها
لا يكونون الا مؤمنين لان الكفار ممنوعون من دخولها فلا يدخلها طاعن اصلا فلا يقال
يدخلها مؤمن لجن ليطعن كافرا لانس وجوابه ايضا انه صلى الله عليه وسلم لما دخل
المدينة وكان في قلة من اصحابه عدد او مدد امن زاد وغيره وكان بها وباء كما مر ناسب
اكمال الدعا بتصحيحها اليصح احساد المقيمين بها ليقووا على الجهاد وخير صلى الله عليه وسلم
في الحمى والطاعون الذين يحصل بكل منهما عظيم الثواب فاختار الحمى لانها اخف من الطاعون
لسرعة الموت به غالبا فلما اذن له في القتال كانت قضية استمرار الحمى ضعف الاحساد
عن القتال فدعى بنقلها الى الجحفة فاجيب وصارت المدينة من اصح البلاد فاذا شاء الله
موت احد فيهم حصل له الشهادة التي كانت من الطاعون بالقتل في سبيل الله الذي هو
اعلى درجة ومن فائته ذلك فيهم مات بالحمى التي هي حظ المؤمن من النار وكل يوم منها
كفر سنة وما سمع ذلك بالمدينة بوعده صلى الله عليه وسلم تميزا لها عن غيرها من البلاد
تحقيقا لاجابة دعائه فهم شاركتها في ذلك مكة فلم يدخلها الطاعون فيما مضى من
الزمان الخبر من الامام النووي رحمه الله ثم قيل انه دخلها بعد ذلك في الطاعون
العام الذي وقع في سنة تسع واربعين وسبعمائة وبعد ذلك فان ثبت ذلك فلعله لما انتشر
من عمومها بسكنى الكفار فيها قلت ويدل لمشاركتها المدينة خبر المدينة وفك
تحفوفان بالملائكة على كل نقب منها ملك لا يدخلها الدجال ولا الطاعون رواه الامام احمد
بسند جيد عن ابي هريرة وجواب الثاني انه لا منافاة بين كون الطاعون عقوبة ووجه
شهادة ورحمة اذ من رحمة الله بقاعي الامة المحمدية انه يجعل لهم عقوبات هم في الدنيا كما في خبر
ابي داود بسند حسن امتي امة مرحومة ليس عليها عذاب في الاخرة عذابها في الدنيا الفتن
والزلازل والقتل وهذا محمول على معظم الامة المحمدية لثبوت اخبار الشفاعة ان قوما
يعذبون ثم يخرجون من النار ويدخلون الجنة مع ان بعض فتن يصيبه الطاعون ثم يباشر
انها حسنة للدورة فلعلها انما عمم العقاب لتقاعدهم عن الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر وعدم تناهيهم عن الصبيحة او لزيادة حسنات من لم يباشر الفاحشة كما في خبر ابن حبان
وصححه ان الرجل ليكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمله فما يزال يبتليه بما يكره حتى يبلغه
اياها **الفصل الحادي عشر** في الزجر عن الخروج من البلد الذي به الطاعون فرارا منه وعن
الدخول اليه قال تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف الاية اي وراء من الطاعون
حذر الموت فقال لهم الله موتوا عقوبة لفرارهم ثم احياهم لتكمل اجالهم قال الكلبي وكانوا ثمانية
الاف وقيل ثلاثة الاف وقيل اربعة الاف وقيل كلا ثون الفا وقيل ثمانون الفا وقيل
ثمانية الف وقيل غير ذلك قلت وكانت مدة موتهم سبعة ايام وقيل ثمانية وقيل اكثر

وظاهر الاخبار انهما كانت فوق ذلك بحيث بليت اجسادهم قيل وكانوا بعد احيائهم لا يلبسون
ثيابا الا كان عليهم كفنا وسما ليعرفهم اهل ذلك الزمان وروى الشيخان خبر اذا سمعتم بالطاعون
بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وانتم فيها فلا تخرجوا فرارا منه وعن عمر بن العاصي
لما وقع الطاعون بالشام خطب فقال ان هذا الطاعون رجس فتفرقوا عنه في هذه الشعاب
وفي هذه الاودية فبلغ ذلك شرحبيل بن حسنة فقال كذب عمر بل هذه دعوة نبيكم ورحمة
ربكم وموت الصالحين قبلكم فبلغ ذلك عمرا فقال صدق وروى الشيخان ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه خرج الى الشام حتى اذا كان بسرغ لقيه امراء الاجناد وابو عبيدة بن الجراح
واصحابه فاخبروه ان الوبا قد وقع بالشام قال ابن عباس فقال لي عمر بن الخطاب ادع لي
المهاجرين الاولين فدعوتهم فاستشارهم واخبرهم ان الوبا قد وقع بالشام قال ابن عباس
فقال لي عمر فاختلفوا فقال بعضهم قد خرجت لامر الله ولا نرى ان ترجع عنه وقال بعضهم
معك بقية الناس واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى ان تقدمهم على هذا
الوبا فقال عمر ارتفعوا عني ثم قال ادع لي الانصار فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل
المهاجرين في الاختلاف فقال ارتفعوا عني ثم قال ادع لي من كان هنا من مشيخة قريش
من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف عليه رجلان فقالوا نرى ان ترجع بالناس ولا تقدمهم
على هذا الوبا فنادى عمر في الناس اني مصبح على ظهر فاصبحوا عليه فقال ابو عبيدة
وهو اذ ذاك امير الشام أفرارا من قدر الله فقال عمر لو غيرك قالها يا ابا عبيدة وكان
عمر يكره خلافه نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ارايت لو كان لك ابل كثيرة فهبطت
واديا له عدوتان احداهما خصبة والاخرى جدبة ارايت ان رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وان رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله قال فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان
متغيبا في بعض حاجته فقال ان عندي من هذا العلم سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض فلا تخرجوا
فرارا منه قال فحمد الله عمر ثم انصرف زاد ابن خزيمة في رواية له ثم انصرف بالناس
وورد ت اخبار موافقة لخبر عبد الرحمن والفرار من الطاعون حرام كما قاله التاج السبكي
كما مر في الفصل الرابع وقيل جاز اي مع الكراهة واحتج قايله برجوع عمر وبالقياس
على الفرار من الاسد والعدو والذي لا بد منه رد على دفعه وبالقياس على الارض المستوخمة
كقصة العرنيين وبالقياس على الفرار من الجذوم المامور به في خبر فر من المجذوم
فرارك من الاسد وجواب الاول ان رجوع عمر في قصته لم يكن فرارا من الطاعون
اذ لو كان فرارا منه لرجع هو اهل البلد الذي به الطاعون ولانه انما هو بمنزلة من قصد دخول
دار فراى فيها حريقا تخذ رطفيه فعدل عن دخولها ليلا يصيبه فهو من باب اجتناب
المهالك وهو ما مور به مع انه في الحقيقة انما رجع للخبر وانما ندم على رجوعه كما روي عنه
مع انه ما مور به لا لنفس الرجوع بل لما في رجوعه بالعسكر من المشقة عليه وعليهم
والجزم يرد الرجوع وانما ورد بالنهي عن القدوم او الاقدام على اختلاف الرواية
في فلا تقدموا مثلا ثنيا او رباعيا وجواب الثاني ان القياس على الفرار من الاسد
والعدو ضعيف لان عدم السلامة منهما غالبة فصار كالقاء الانسان نفسه في النار
بخلاف الفرار من الطاعون فان السلامة منه كثيرة وان لم تكن غالبة وبتقدير تسليم صحة
القياس فهو قياس مع وجود الفارق اذ الوقوف للاسد لم ينه عنه صريحا بل داخل في النهي
عن الالقاء الى التهلكة والفرار من الطاعون نهي عنه صريحا وجواب الثالث ان الخروج من
المستوخم لم يكن للفرار بل للتداوي وخروج العرنيين كان في ضرورة الواقع لان الابل

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)